**جريدة الرياض الخميس 3 محرم 1427هـ - 2 فبراير 2006م - العدد 13737**

**« مصارع العشاق» لجعفر السراج**

****

**خليل قنديل \*عمان**

**إن القرنين الرابع والخامس الهجريين، يمكن اعتبارهما من أغزر القرون العربية الإسلامية إنجازاً في كافة المسارات العلمية والمعرفية والثقافية، ذلك أن هذين القرنين يُشكلان حالة من القطاف الحضاري الحقيقي تصل الاندغام العربي بمعطى الحضارات الإنسانية كافة، والتي استطاع العرب خلالها من صهر مكتسباتهم الحضارية والمعرفية من المنجز الحضاري الانساني في بوتقتهم – لا بل والإضافة على هذا المنجز.**

**ولعل مجمل المكتسبات المعرفية التي استطاعت أن ترمم حال وأحوال القطيعة المعرفية التي عاشها العربي لتلضمه مع تاريخه، ومع المعطى الحضاري العميق لتأريخه، تأتي من هذا القطاف الزخم المنجز في هذين القرنين.**

**ولعل الكتاب الذي بين يدينا والموسوم ب« مصارع العشاق» من تأليف جعفر السراج وتحقيق الباحثة الأردنية د. بسمة احمد صدقي الدجاني الصادر عن وزارة الثقافة الاردنية هو أحد هذه القطافات.**

**لكن مايجب التوكيد عليه هو ذلك الجهد الدؤوب للباحثة الدجاني في تحقيق هذا الكتاب، الذي اضطرها إلى الذهاب إلى اكثر من عاصمة وإلى العديد من المكتبات التوثيقية والمراسلات والمتابعة الحثيثة لتحقيق هذا الكتاب بالشكل الأبهى والأجمل والمكتمل.**

**وفي تعريفها لشخصية السراج تشير المحققة إلى أن ولادته كانت عام 419ه وعام وفاته هو 500 منوهة إلى أن السراج نشأ في العراق حاضرة الدولة الإسلامية الكبرى آنذاك في بيئة علمية دينية وحظي بوالد واع أتاح له تلقي العلم صغيراً مشيرة إلى أن المصادر التاريخية التي قدمت تعريفاً للسراج أنه أخذ عن علي بن شاذان وسمعه وحدث عنه، علماً بأن أبا علي بن شاذان توفي وجعفر دون العاشرة من عمره.**

**وتكشف الباحثة الدجاني عن الخصوبة المعرفية للقرن الخامس الهجري الذي نشأ فيه السراج منوهة إلى الدور الهام للشيخات في العلوم الدينية وبخاصة في مجال الحديث، وتتطرق الدجاني إلى مسألة مهمة وهي دور التلميذات حيث يسجل التاريخ لواحدة منهن هي الشيخة شهدة بنت المحدث أبي نصر أحمد بن الفرج الدنيوري الإبري فضل تلقي (كتاب مصارع العشاق) عن السراج ذاته وهي صبية لم تتجاوز الثامنة عشرة من عمرها، ثم روايتها له في جلسات صالونها الأدبي.**

**وتؤكد محققة كتاب مصارع العشاق على أن الكتاب يُمثِّل حلقة في سلسلة حلقات الكتابات عن الحب في الحضارة العربية الاسلامية موضحة أن تأليف السراج لهذا الكتاب جاء بعد ان عرفت المكتبة العربية حوالي أربعة عشر كتاباً ورسالة في الموضوع قبله.**

**وحول الدلالة في اسم الكتاب تقول الدجاني: نقف بداية أمام الاسم الذي اختاره جعفر السراج لكتابه فنجده مؤلفاً من كلمتي «مصارع» و«العشاق» والمصارع في لسان العرب من صرع أي طرح أرضا، ويقال صرعته المنية أي مات، ومصارع العشاق حيث قتلوا، والعشاق من العشق وهو فرط المحبة، واللزوم للشيء لايفارقه، وقد ورد في لسان العرب أن العاشق سُمي عاشقاً لأنه يذبل من شدة الهوى كما تذبل العشقة إذا قطعت، شجرة تخضر ثم تدق وتصفر.**

**وتقف الباحثة الدجاني عند الملامح التأسيسية لتأليف السراج لكتابه فتستدل على أن تأليف الكتاب تم في وقت طويل وعلى مراحل، كان السراج خلالها يدون في أوراقه مايتجمع لديه من الأخبار الأدبية والأبيات الشعرية، وما يعن على باله من نظم خلال اسفاره المتتالية ما بين بغداد ومصر والحجاز ولبنان، وأن السراج اعتمد في كتابه على الرواية وأخذ أخباره الأدبية من مجالس العلم التي كانت تنعقد غالباً في المساجد، وكانت تعنى بألوان الأدب من شعر وأخبار ذلك أن المسجد هو المكان الذي روى فيه السراج كتابه على تلامذته في حلقاته العلمية.**

**وتؤكد الباحثة أن السراج اعتمد في كتابه التلقائية في رواية حكاياته موضحة إننا وفيما نتأمل في مادة كتاب «مصارع العشاق» وتولي عناية لقصص الحب العذري، وتحفل بأخبار أدبية، وتهتم بأخبار المتصوفين وأحوالهم في العشق مشيرة إلى أن مادة الكتاب بمجموعها ذات دلالة على الأحوال الاجتماعية في ذلك العصر.**

**وبحسب د. محمد حسن عبدالله في كتابه «الحب في الأدب العربي» إن قصص مصارع العشاق تسير في أربعة اتجاهات، أولها مايتعلق بشخصيات تاريخية اشتهرت بالعشق مثل قيس وليلى، وجميل وبثينة، وكثير وعزة، وثانيها قصص أبطالها من المجانين الذين غلبهم الوله فأفقدهم عقولهم، وهم يعيشون عادة في المارستان او الدير، يجلس أحدهم في ظل حائط، أو تحت شجرة قد ربط اليها، أو ضمت قدماه في قيد، وهذا المجنون عادة من «ملامح المجانين» شاب لم ير أحسن منه وجهاً يستغرق في صمته، أو يُناجي بالشعر شخصاً غيور منظور، والاتجاه الثالث يتمثل في أخبار وليس في قصص، أبطالها من المتصوفة الذين عشقوا، والاتجاه الرابع: قصة فنية تتحرك بحرية، وتتكامل جوانبها بدوافع الاقناع والإمتاع معاً.**

**وتنوه الدجاني إلى أن السراج لم يعمد إلى التحليل والتعاليل في تناوله موضوع العشق، وترك للقارئ أن يقوم هو بذلك من خلال قراءة ما في الكتاب مؤكدة أن هذا النهج نجده عند عدد من المؤلفين القدامى الذين اكتفوا بالرواية دون الدخول في فلسفة الموضوع وفقاً لما اعتمده آخرون تأثروا بالفلسفة اليونانية.**

**وعن الأثر الذي تركه كتاب مصارع العشاق على من ألَّف في العشق بعد السراج في حضارتنا العربية الإسلامية تشير إلى اعتماد أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي في كتابه «ذم الهوى» على قصص العشاق المأخوذة من كتاب «مصارع العشاق» فقدم كتابه أسواق الأشواق من مصارع العشاق للسراج:**

**وفي الدخول إلى متن الكتاب نجد أن مصارع العشاق، يُشكّل ببراعة سرده، وسلاسة حكاياته، حالة بحثية عميقة تذهب كي تحفر عميقاً في التاريخ العربي الإسلامي، إذ يبدو السراج الحكاء وكأنه جغرافيا تطير بنطق الكلام وتتنقل بخفة محببة، إلى روح القارئ العربي ووجدانه في كل أمكنة العواصم والبلدان العربية الإسلامية، وفي كل الأمكنة، وهي إذ تحط في أي موقع تؤثثه بالوصف وبحالة العاشق والمعشوق، سرداً وشعراً.**

**وكتاب «مصارع العشاق» يشير بتنوع أبوابه، وعمق مشاربه إلى الروح الشفيفة للعربي وهو في حالة عشق، لا تأخذ أحقيتها في التعبير من إمكانيات التخيل - بل من قصص صرعت العشاق، وتداولها العلماء والفقهاء عبر التاريخ العربي الإسلامي.**

**وهو إن شئنا الحفر أكثر يؤكد على شفاهية خاصة لدى العربي ومكنة متميزة لديه على المحافظة على تداول القصة عبر أكثر من قرن بمستوى رفيع وفصيح يتيح لهذه الشفاهية أن تنسخ وأن تتحبر، مثلما يؤكد أيضاً على ذاكرة عشقية استحقت هذا الاحتفاء عبر التاريخ في هذا الكتاب الذي يظل يلح علينا في القراءة، ومعاودة قراءة صرعى العشق، ربما لأن العشق يظل الحالة الوجدانية للإنسان التي ظلت تحمل براءتها، وربما سذاجتها تلك السذاجة المعافاة حتى وإن أدّت للموت.**